بين مصير شابٍّ عاصٍ وشابٍّ تقيٍّ

(خطبة الجمعة للشّيخ عبد الحق شطّاب بمسجد الشّيخ أحمد حفيظ رحمه الله

يوم 20 ربيع الأول 1433هـــ الموافق لـــ 1 فيفري 2013م)

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفُسِنا ومن سيِّئات أعمالِنا، من يهدِهِ الله فهو المُهتد ومن يُضلل فلن تجِد له وليًّا مرشدًا،

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له وأشهد أنّ مُحمّدًا عبدُه ورسوله،

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿ 01 ﴾ "سورة النّساء.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿ 102 ﴾ "سورة آل عمران.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿ 70 ﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿ 71 ﴾ "سورة الأحزاب.

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وخير الهدي هدي محمّدٍ – صلّى الله عليه وآله وسلّم – ،

وشرّ الأمور مُحدثاتها وكلّ محدثةٍ بدعةٌ وكلّ بدعةٍ ضلالةٌ أعاذنا الله من الزّيغ والضّلال ،

معاشر الإخوة الكرام، في هذه الجمعة المباركة ، نتناول موضوع :

بين مصِير شابٍّ عاصٍ وشابٍّ تقيٍّ

معاشر الإخوة الكرام ،

كثيرٌ من شباب اليوم لا يأخذون بتوجيهات آبائهم ، ظنًّا منهم أنّهم أذكى من آبائهم أو إهمالاً لما يقوله الآباء ، وأحيانًا أخرى تمرُّدًا عنهم بحجّة الحريّة ، " نعيش حياتي " كما يقولون .

في القرآن الكريم ضرب الله تعالى لنا مثالين لشابٍّ خرج عن طوع أبيه وآخر تعلّق قلبه برضا ربه ، فلننظر إلى مآل كلٍّ واحدٍ منهما ، وعاقبة أمره في الدّنيا والآخرة .

إنّ في قصّة ابن نوحٍ عليه السّلام خير عبرةٍ وأفضل درسٍ لأبناء اليوم ، إبن نوحٍ عليه السّلام ، أبى ورفض اختيار والسّير على درب أبيه وعقيدة ودين أبيه ، ظانًّا أن اختياره أفضل ممّا اختاره أبوه .

قال تعالى في سورة هود :

" وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (42) قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (43) وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (44) " سورة هود.

" وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (45) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (46) " سورة هود.

هذا مصير شابٍّ مغرورٍ لا يقبل نصح النّاصحين ، بل لا يقبل نصح أبيه ، وأبوه رسولٌ نبيٌّ يوحى إليه من ربّ العالمين ، كم من شابٍّ اليوم لا يقبل نصيحة أبيه ، نصيحة أهل العلم ، يقال له : (**لا تصاحب هؤلاء الذين يتعاطون المخدرات**) ، فيأبى إلاّ مصاحبتهم ، يُقال له : (**لا تُجالِس أولئك الّذين يُؤذون النّاس في الطّرقات**) ، فلا يسمع لنصح النّاصحين ، يُقال له : (**لا تسهر**) ، يُقال له : (**اذهب لتَعَلُّم حِرفةٍ تقتات منها**) ، فيأبى إلاّ التّسكُّع في اللّيل فلا ينصت ، يُقال لها : (**لا تصاحبي تلك ولا تتأخّري ولا تخرجي لغير حاجةٍ**) ، فتأبى إلاّ أن تركب رأسها ، يُقال لها : (**تستّري في لباسك فإنّ ذلك يجرُّ لك المشاكل**) ، فتظنّ أنّ ذلك تضييقٌ عليها وقضاءٌ على حرّيتها .

ثمّ تمرّ الأيّام والأعوام فيأتي الشّابُّ العاصي الفاشل وقد غرق في مستنقع المخدّرات ، ويحتاج إلى مصحّةٍ استشفائيّة ليصبح عاديًا ، في حين أقرانه حصلوا وظيفة وهم على مشارف الزّواج وإقامة بيت .

وتأتي تلك الفتاة المتحرّرة وقد ضاع شرفها ، وكثر عليها الخطّاب وهي ترفض هذا وذاك والعائلة في حيرةٍ (لماذا ترفض ؟) ، وهي تفعل ذلك خشية الفضيحة .

وقريناتها العفيفات قد زفّت إلى بيوتها ، وهي تجلس تندب سوء فعلها وتحرّرها المزيّف .

إن نوحًا عليه السّلام كان يجهل بأنّ ابنه كان منافقًا يبطن الكفر ويظهر الإسلام ، وإلاّ ما طلب من الله اغراق الكفّار ونجاة ابنه فهذا لا يستقيم .

هذه صورة الشّابّ المتفلّت ، العاصي لربّ العالمين ، المخالف لنصح النّاصحين .

فانظروا معي صورة شابٍّ طائعٍ ، صابرٍ ، عفيفٍ ، عفوٍّ ، صافحٍ عن إخوته والمتحمّل من أجل طاعة ربّه أشدّ التّضحيات ، فيرفعه الله في الدّنيا مقامًا كبيرًا ، وهو في الآخرة في الفردوس الأعلى .

ألم يقل الله تعالى في حقّ يوسف عليه السّلام ، حينما فتنته النّساء :

" **قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ . . . (33)** " **سورة يوسف** .

فقد آوى إلى ربّه يطلب العون والتّوفيق قبل ذلك حين قال :

" **. . . وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (33)** " **سورة يوسف** .

ولكنّه عازمٌ على الإختيار السّليم بعد أن استنجد بعون الله وتوفيقه .

وعزمه ظاهرٌ وأنه لا يستجيب لداعي الإغراء ولا للرّغبة ولو كلّفه ذلك السّجن :

" قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ . . . (33) " سورة يوسف .

فماذا كان مآله في الدّنيا في نهاية المطاف ، وقد ترك الحرام طاعةً للرّحمان :

" وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (54) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (55) " سورة يوسف .

أرأيتم كيف ترفع الطّاعة مقام المسلم في الدّنيا ؟ ، أصبح وزيرًا للماليّة هو المتصرّف في الدّولة ماليًّا .

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبة الثّانية :

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نعمه، وأشكره على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدا عبده ورسوله ،

والشّابّ يوسف عليه السّلام أصبح من أهل المشورة المقرّب المؤتمن على كلّ شيءٍ في مملكة العزيز بعلمه وصبره وحسن خلقه ونزاهته .

فمن أراد النّجاح في الدّنيا ، فبالعلم والصّبر وحسن الخلق ، وليس بالمظاهر الزّائفة والعربدة والتسكّع في الطّرقات طوال النّهار.

ونقول لشباب اليوم ، ليس العيْب أن تُخطِأ ، ولكنّ العيب أن تستمرّ في الخطأ ، وتصبح الخطيئة جزءًا من حياتك قد تعوّدتها.

ولنأخذ أيّها الشّباب العبرة في هذه القصّة ، ثبت في مجمع الزّوائد للهيثمي من طريقين ، ورجال أحدهما رجال الصّحيح ، عن خَوَّاتَ بْنَ جُبَيْرٍ قال :

(نزلنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مَرَّ الظَّهْرَانِ) ، قال : **(فخرجت من خِبَائِي ، فإذا نسوةٌ يتحدّثن فأعجبنني ، فرجعت فاستخرجت عَيْبَتِي ، فاستخرجت منها حُلَّةً فلبستها ، وجئت فجلست معهنّ ، فخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : (أبا عبد الله ؟) ، فلمّا رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هبته واخْتَلَطْتُ ، قلت : (يا رسول الله جملٌ شرد لي وأنا أبتغي له قيدًا) ، فمضى واتّبعته فألقى إليّ رداءه ودخل الأراك كأنّي أنظر إلى بياض متنه في خَضِرَةِ الأراك ، فقضى حاجته وتوضّأ وأقبل والماء يسيل من لحيته على صدره ، فقال : (أبا عبد الله ما فعل شراد جملك ؟) ، ثمّ ارتحلنا ، فجعل لا يلحقني في المسير إلاّ قال : (السّلام عليك أبا عبد الله ما فعل شراد ذلك الجمل ؟) ، فلمّا رأيت ذلك**

تعجّلت إلى المدينة ، واجتنبت المسجد ومجالسة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فلمّا طال ذلك تحيّنت ساعة خلوة المسجد ، فخرجت إلى المسجد وقمت أصلّي ، وخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من بعض حِجْرِهِ ، فجاء فصلّى ركعتين خفيفتين وطوّلت رجاء أن يذهب ويدعني ، فقال : (طوّل أبا عبد الله ما شئت أن تطوّل فلست قائمًا حتّى تنصرف) ، فقلت في نفسي والله لأعتذرنّ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ولأُبَرِّئَنَّ صدر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فلمّا انصرفت ، قال : (السّلام عليك أبا عبد الله ما فعل شراد جملك ؟) ، فقلت : (والّذي بعثك بالحقّ ما شرد ذلك الجمل منذ أسلمت) ، فقال : (رحمك الله) ، ثلاثًا ثمّ لم يعد لشيء مِمَّا كان) .

وعند العراقي بسند رجاله ثُقَاتٌ ، قال صلّى الله عليه وسلّم :

(**الله أكبر الله أكبر ، اللّهُمّ إهد أبا عبد الله**) ، قال فحسن إسلامه وهداه الله .

اللّهمّ أهدِنا فيمن هديْت وعافِنا فيمن عافيْت وقِنا شرّ ما قضيْت،

اللّهمّ لا تَدَعْ لنا في مَقامِنا هذا ذنبًا إلاّ غفرته، ولا دَيْــنًا إلاّ قضيْته، ولا مريضًا إلاّ شفيْته، ولا حاجةً من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رضًا ولنا فيها صلاحاً إلاّ قَضيْتها لنا ويَسَّرتَها لنا، يا أرحم الرّاحمين.

اللّهم إنّا نسألك فِعل الخَيْرات، وتَرْك المنكرات، وحُبّ المساكين، وإذا أردت بْقَوْمٍ فِتنةً فتَوَفّنا غير فاتنين ولامفتونين.

اللّهم إنّا نسألك حُبَّك وحبّ من أحبّك وحبّ كلّ عمل يُقرّبنا إلى حبّك.

اللّهم اجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيّامنا يوم لقاك.

اللّهم لا تأخذنا على حين غِرّة، ولا على حين غفلة.

اللّهم إنّك عفوٌّ تحبّ العفو فاعف عنّا، اللّهم إنّك عفوّ تحبّ العفو فاعف عنّا.

اللّهم انصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها واخذُل ودمِّر أعداء الدّين في مشارق الأرض ومغاربها. اللّهم انصر المظلومين في سورية وفي سائر بلاد المسلمين، اللّهم انصر المظلومين في سورية وفي سائر بلاد المسلمين، إنّك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

سبحانك اللّهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلاّ أنت نستغفرك ونتوب إليك.